

## من أوراق الرئيس (7)

الجليد .. يذوب: بين موسكو والقاهرة!

### قال القذافي لياسر عرفات:

#### مصر لم تطلب منى شيئاً!

يبدو أن القذافي، على طريقته الغريبة فى فهم أى شئ، لم يدرك بالضبط ما الذى يقصده الرئيس السادات عندما دعا إلى "غزو الصحراء". فقد كان يقصد، ولا يزال اليوم وغداً، أن يقوم بتعمير الصحراء.. ببناء المدن، وإصلاح الأرض وريها.. وتحويل لونها الأصفر إلى أخضر.. أى تحويل الرمل الميت إلى بذور حياة ومبان ومستقبل مشرق، من أجل التخفيف عن الوادى الضيق حول نهر النيل..

ولكن القذافي توهم أن غزو الصحراء، أن يغزو هو صحراء مصر، فيحول رمالها الصفراء إلى حمراء وسوداء.. بقع من الدم وكتل من الفحم.. وأن غزو الصحراء هو أن يستخدم قواته المدرعة فى ضرب بوليس الحدود..

وقد حذره الرئيس السادات فى رسالته التى ننشرها اليوم. ولكن القذافي لم يفهم، أو لأن فى رأسه فكرة متسلطة عليه ظن أن الرئيس السادات يقول كلاماً لا يعنيه.. تماماً كما يفعل القذافي!

قبل ذلك اعتقلت القوات الليبية الطيارين المصريين فى مطار العضم منذ ثلاث سنوات. وسحب الرئيس السادات كل قواته..

وسحب القذافي طياراته ومدافعه ودباباته وودائعته المالية.. فلم يبق له فى مصر شئ.. ولا نحن نريد منه أى شئ..

ولكن القذافي يريد إثارة القلاقل والفتنة.. إنه يدفع الأموال.. ولكن إذا كان القذافي "دافعاً" فهو أيضا "مدفوع" ليلعب دورا أكبر منه.. وسيكون من ضحايا هذا الدور القذافي، وهذا لا يهم كثيرا.. ولكن الذى يهم هو أن يفسد القذافي ما بين الشعبين الشقيقين، بين المصريين والليبيين مدنيين وعسكريين.. هذه هى اللعبة الخطرة. وهذا هو اللعب بالنار التى تحرق الأبرياء، بلا ثمن.. أو بثمن هو ملايين الجنيهات الليبية، وألوف الأبرياء من القتلى والجرحى.

وللتاريخ: ليس للرئيس السادات الفضل فى وصف القذافي بالجنون. فإن الفضل كله يرجع إلى الرئيس برجنيف الذى كان أول من وصفه بأنه مجنون.. وإن كان الرئيس السادات قد جاهر بهذا فلكى يسمعه المخدوعون من الشباب، وليقرأه مزورو التاريخ الذين أعطاهم القذافي أذنيه، كما أعطاهم ملايين الدولارات فى بيروت والقاهرة وحتى فى القدس المحتلة!..

## رسالة الرئيس بتاريخ 7 أغسطس 1974

السادة رئيس وأعضاء مجلس الثورة

بعد التحية،

فإننى لا أحاول هنا أن أبعث إليكم برسالة شبيهة برسالتى السابقة لقد كانت رسالتى السابقة تستهدف أن تجاوز التفاصيل إلى تحديد القضايا الخلاقية الأساسية بيننا فى إطار من الرغبة العميقة فى أن هذا التحديد قد يؤدي إلى أن نعكف على مواجهة هذه القضايا الجوهرية فى أمانة وإخلاص بقصد التغلب عليها، والوصول إلى صيغة راسخة بين قطرين عربيين شقيقين.. متجاورين.. يربطهما مصير واحد.

من هنا، كان حديثي في الرسالة السابقة أقر إلى حديث الأخوة.. وكان له شكل الحوار الخاص.. وليس الدعاية والإعلام وإذا كنا قد اضطررنا بعد ذلك إلى نشر هذه الرسالة. فقد كان ذلك ردا لا مفر منه على ما لاحظنا في أن أجهزة أعلامكم بدأت تقطع أجزاء منها وترد عليها بطريقة مشوشة.. ومن هنا فإنني أرى أن رسالتي السابقة ما زالت قائمة حتى الآن بغير رد موضوعي منكم. وبغير أن تفتح باب الحوار الذي كنا نريده.. فالتهرب مستمر من المواجهة المدروسة البناء لأي موضوع جدى طرحناه.. والإصرار على إدارة الحوار بطريقة المهاترات الإعلامية ما زال مستمرا.. حتى ما كنا قد قررنا من تكوين لجنة مشتركة تبحث الأمور جديا تمهيدا لاتخاذ القرارات المناسبة على مستوى أعلى.. حتى هذا كان لا بد لنا من إيقافه. فالحملات ذاتها مستمرة بطريقة يبدو أنها تستهدف إثارة العراقيل في وجه أي مواجهة موضوعية بناءة. بل إن الأسلوب الأزواجي في العمل: الحديث من جهة عن رغبة التفاهم. والعمل من جهة على تخريب كل فرصة لهذا الحديث.. هذا الأسلوب المزدوج تكرر مرارا بطريقة تؤكد أنه سياسة ازدواجية مقصودة هدفها تخريب العلاقات والتظاهر بالرغبة في تحسينها حتى لا تتحملوا أمام الرأي العام العربي بل وأمام الرأي العام الليبي ذاته.

مسئولية هذا التخريب.

لهذا فإنني لا أستأنف بهذه الرسالة حديثا سابقا أرى أنه لم يسفر عن تجاوب في مستوى حديثه وإخلاصه. ولكنني أكتب هذه المرة لأسجل أن سياستكم نحونا. فوق كل ما ذكرته في رسالتي السابقة. فإنها قد بدأت تأخذ اتجاها جديدا خطيرا. يدعوني إلى أن أسجله أمامكم وأن أحذر من عواقبه الخطيرة وأنبه إلى أننا لسنا غافلين عن هذا الاتجاه، وإنما قد نصير عليه ولكننا لن نسكت عنه.

فبعد تلقيكم رسالتي السابقة، حدثت وقائع خطيرة.. ذات دلالة. من بينها:

1. لقد نظرنا والأمة العربية. بلد والعالم كله. بدهشة إلى التصرف الغريب الذي وقفه العقيد القذافي. عندما وافق على حضور رئيس وزراء ليبيا لمقابلتي وللبحث في تحسين

العلاقات، وفي نفس الوقت أرسل علنا برقيته الشهيرة للأخلاقية. التي تحدث فيها عن الأخلاق. ليخرج رئيس وزرائه وهو في بلادنا. وليفسد المحاولة وهي في البداية. وقد وقفنا الموقف الذي وقفناه على مضض، حفاظا على شرف التصرف المصرى الذى نحرص عليه، وترفعا عن الدخول فى دائرة المناورات المكشوفة الرخيصة، بل والساذجة.

2. ونفس الأمر حدث حين بعثتم الرائد محمد نجم ليتحدث عن إيقاف الحملة الإعلامية، ثم يعود والحملة الإعلامية تشتد بل إن الإعلام المشتري بالمال الليبى لم يتورع عن التسلل إلى بعض الصحف العربية التى تصدر فى القدس المحتلة لتدفعها فى نفس الاتجاه الشرير بإغضاء وعدم اعتراض من سلطات الاحتلال الإسرائيلى، الأمر الذى يكفى للدلالة على جسامة ما ترتكبه سياستكم الإعلامية إلى درجة العزف على نغمة تريد سلطات الاحتلال الإسرائيلى أن يسمعها العربى الفلسطينى الرازح تحت الاحتلال.

3. فى 12/6/1974 فوجئ الفريق طيار حسنى مبارك قائد القوات الجوية المصرية بخطاب من المقدم طيار صالح الفرجانى أمر السلاح الجوى الليبى يطالبه بعودة الطائرات الليبية الميراج مصحوبة بكامل وحداتها إلى ليبيا.. وكان تعليله بطلبه انتهاء مهمتها القتالية فى حرب رمضان وللاحتياج الماس لاستخدامها بليبيا.

وأكد فى نهاية خطابه أنها سوف تكون تحت تصرفنا فى أى حالات طارئة مستقبلا.

وقد رد عليه قائد القوات الجوية المصرية بأن هذه القوة ما زالت مكلفة بمهام قتالية. واعتذر عن تلبية طلبه إلا بناء عن قرار سياسى بين قيادات بلدينا لأنها تمركزت فى مصر بقرار سياسى على هذا المستوى.. كما طالب بأن يخطر قبلها بوقت كاف حتى يتمكن من إعفائها مكلفا تشكيلات أخرى بهذه المهام.

وفى خطاب مؤرخ 16/6/1974 موجه من المقدم أبو بكر يونس إلى المشير أحمد اسماعيل طالب بنفس المطالب. وكان رد المشير هو أن الموضوع يتطلب قرارا

سياسيا على مستوى رئيسى جمهوريتى الدولتين.. خاصة أن المعركة لم تنته بعد وقد ينشب القتال فى أى وقت. وكان رد المقدم أبو بكر يونس على ذلك عنيف اللهجة إلى الدرجة التى هدد فيها بأنه إذا لم تعد الطائرات فورا فسوف تعلنون على العالم أننا قد استولينا على هذه الطائرات.

إن الأمر كله فى نظرنا إنما هو استمرار لأسلوب ممارسة الضغوط وأسلوب إيجاد المشاكل لمصر.. وأن الحجج التى سبقت، وبعد أن عرضنا وجهة نظرنا.. لا تقنعنا ولا تقنع أيا من الشعبين المصرى أو الليبى.. ومع ذلك فإننا نستجيب إلى طلب عودة القوة الليبية، وأرجو أن ترسلوا مندوبا للاتفاق مع قائد القوات الجوية على الجدول الزمى لعودتها بما يناسب متطلبات المعركة.

4. محاولة اغتيال الصحفى المصرى إحسان عبد القدوس.. والمتهم فيها هو فرج آدم على، الليبى الجنسية والذى يشتغل ميكانيكيا وصاحب سيارات أجرة بطبرق. ولقد ضبطته أجهزة الأمن المصرية ومعه سلاحه واعترف اعترافا صريحا أنه خلال شهر أبريل سنة 1974 كلفته الأجهزة السرية التابعة للعقيد شخصا بمحاولة هذا الاغتيال، مقابل مبلغ 1450 جنيها ليبيا سلمته إليه كما سلمته مسدسا ليستعمله فى هذا الاغتيال، وأنها سلمته أيضا رسالة إلى الملحق العسكرى الليبى بالقاهرة ليسهل مهمته وإعطاءه مبلغ 200 دينار.. وأنه حضر للبلاد بتاريخ 1974/4/18 وتردد على القاهرة حتى عرف مقر سكن الصحفى إحسان عبد القدوس ولكنه عدل عن المهمة بعد أن نفذت نقوده فى دور اللهو وأيد اعترافه بأنه أثناء وجوده بالقاهرة تشاجر فى أحد الملاهى وادعى أنه من المخابرات الحربية الليبية، وأنه مكلف بضبط الجنود الليبيين الهاربين وقد حضر لاستلامه من قسم شرطة بولاق الدكرور اثنان من موظفى مكتب الارتباط العسكرى الليبى بالقاهرة وأيدا صفته وأقواله وتسلماه وتحرر عن ذلك المحضر 1823 إدارى قسم شرطة بولاق الدكرور.

5. جريمة اتفاق جنائى لنسف استراحة رئاسة الجمهورية بمطروح وقد ضبط فيها ميكائيل عطيوه وآخرون ينتمون إلى قبيلة أولاد على.

واعترف ميكائيل عطيوه كتابيا وتفصيليا.. باتفاقه مع باقى المتهمين على تخريب الاستراحة وبتجنيد الأجهزة السرية التابعة للعقيد له منذ يناير سنة 1974 نظير مرتب 50 دينار ليبيا شهريا، كما اعترف على آخرين بأنهم يكونون مجموعة تدعى العمل على نشر الدعوة للمبادئ الناصرية، ونشر فكرة أن أولا على لبييون وأن أراضى الصحراء المصرية حتى منطقة سيدى مرغم بالقرب من العامرية أراض ليبية ستطالب بها.

وقد كان ملفتا للنظر هذا التنسيق بين عمل أجهزة المخابرات الليبية التابعة للعقيد القذافى شخصيا فى التآمر على نفس استراحة رئيس جمهورية مصر.. فى الوقت الذى ينشر فيه الإعلام الليبى بتوجيه من العقيد عن احتمالات انقلاب فى مصر يوم 23 يوليو.. وهو اليوم التالى لضبط المتآمرين..

6. البدء فى سياسة مرسومة لمضايقة المواطنين المصريين العاملين فى ليبيا، سواء فى ظروف عملهم هناك أو فى دخولهم وخروجهم عند الحدود وإساءة معاملة السفن المصرية فى الموانئ الليبية ومحولة تعطيل عملها تماما.

7. الزج بأفراد لبييين وآخرين من جنسيات غير مصرية فى محاولة أحداث عمليات يراد بها الإيهام بوجود جو من الاضطراب فى مصر. مثل حادث القاء القنابل فى أحد المحلات العامة فى الإسكندرية.

8. ولست أريد أن أعود إلى مناقشة ما تردده أجهزة إعلامكم من حملات. يزيد صراخها كلما شعرت بقلة جدواها.

ولكننى فقط أشير كمثال، أولا إلى برنامجكم الإذاعى المسمى "مع الثائرين فى مواقعهم".. الذى يذيع رسائل بأسماء مصريين نعرف جيدا أنها أسماء وهمية وعناوين وهمية. ولا شك أن هذا ينطبق بالتالى على ما يلفق من رسائل بأسماء مواطنين تزعمون أنهم من بلاد عربية أخرى..

وأشير كمثال ثان إلى حملتكم الغربية على حصول مصر على مفاعل ذرى من الولايات المتحدة، بحجة ساذجة هي أن هذا غطاء من أمريكا لكى تعطى إسرائيل مفاعلا مشابها.

هل احتاجت أمريكا يوما إلى غطاء فى كل ما كانت وما تزال تعطيه لإسرائيل من مال وسلاح ومعونة علمية متقدمة.. وأليس لدى إسرائيل مفاعلات قبل ذلك فعلا.. وهل كسر احتكار إسرائيل للحصول على هذه المفاعلات خطوة الى الوراء.. أم خطوة إلى الأمام.

ولو أنكم تقرأون صحفنا بصفاء نية لوجدتم أن لنا خطة سابقة، معلنه لإقامة ثلاث مفاعلات ذرية على الأقل، تم تحديد أماكنها، لمواجهة حاجة التنمية المتزايدة لدينا إلى الكهرباء وأنا بدأنا نعمل للحصول عليها من أكثر من جهة. ومن بينها الولايات المتحدة.

السادة رئيس وأعضاء مجلس الثورة..

كما قلت فى أول رسالتى هذه، فإننى لا أستأنف حوارا، طرحت فى رسالتى السابقة ما لدى فيه من آراء، ولم أجد لديكم ما يقابله من جدية ورغبة فى تخطى الخلافات.. ولكننى أسجل هذه التطورات الخطيرة التى أكرر أننا نصبر عليها ولكننا لن نسكت عنها..

وبصراحة كاملة، يؤسفنى أن أقول أن الاستعمار بعد سنوات طويلة كان يستهدف دائما جعل ليبيا منطقة عازلة بين مشرق العالم العربى ومغربه.. وكان يستهدف دائما أن تكون ليبيا بالتالى بحكم موقعها معزولة بدورها، حتى تظل دون أن تدرى فى إطار الخطة الاستعمارية العامة.

وقد نجحت هذه الخطة فى إنجاز هذه المهمة عن طريق إسدال الستار على حدود ليبيا.. واليوم نجد أن خطة الاستعمار تتجح مرة أخرى فى إبقاء هذا الوضع بطريق آخر هو طريق العداء بعد طريق الانطواء.

إننى لا أتحدث هنا عن النوايا. إن النوايا لا قيمة لها فى القضايا السياسية والاستراتيجية الخطيرة، ولكن هذا ما يحدث فعلا. فكل تصرفات القيادة الليبية تستهدف تعميق الهوة بين مصر وليبيا، وتستهدف أكثر من ذلك زرع المرارة بين الشعبين. ونحن ندرك هذا جيدا. وأحد أسباب ردود فعلنا الهادئة أننا نحاول تفويت هدف هذه المؤامرة التى تتورطون فيها يوما بعد يوم. بهذا الأسلوب الخطير من أساليب اللعب بالنار دون إدراك للعواقب البعيدة.

إن بلادنا مفتوحة لأى مبادرة ليبية صافية النية، وبلادنا مفتوحة لكل مواطن ليبى يأتى على مصر، حيث لن يجد إلا كرم الضيافة وحسن المعاملة.. ونحن نعرف جيدا الفرق بين المواطن الليبى الطيب الذى يمثل طبيعة الشعب الليبى الأصيلة. وبين الذين ترسلونهم فى مهمات للتأمر والتخريب بوحي من أجهزكم.

وختاما. فإننى ما زلت أمل أن تدركوا قبل فوات الأوان أن مصر بلد لا يخضعه الضغط حتى ولو فيما يمس ضرورات المعركة. ولا يشتريه المال حتى ولو كان ينعكس على غذائه وكسائه .. ولا يخترقه تأمر ومحاولات تخريب فردية مكشوفة.

ألا هل بلغت.. اللهم فاشهد..

والسلام عليكم ورحمة الله ،

أنور السادات.

فى نهاية هذا الخطاب أشرت إلى عدم اللعب بالنار. ولم أكن أتلاعب بالألفاظ. ولا أكرر معنى مألوفاً عندما يلهو الإنسان بشئٍ خطير.. وإنما كنت أعنى ما أقول. وأعرف مقدما أن القذافى بحالتيه النفسية والعقلية لن يقف عند حد.. وأن هذا سيؤدى فى النهاية إلى إيذاء نفسه.

ولو كان الأمر يتوقف عند أن يلهو القذافى بالنار فيحرق أصابعه، أو يحترق هو من أوله لآخره، لهان الأمر.. ولكنه يلعب بالنار التى سوف تعود أضرارها على الشعب



الليبي أو الجيش الليبي، وفي نفس الوقت سيثير الجيش المصرى على الجيش الليبي. وهذه هي قمة الخطورة التي يجب أن نتفادها جميعاً.

وأنا أعترف أن القذافي رجل منطقي مع نفسه: بمعنى أنه يفعل بالضبط ما يؤكد شخصيته. وشخصية متناقضة. وقد حرصت أن أسجل عليه ذلك أمام شعبه وأمام شعبنا وأمام الأجيال القادمة وأمام التاريخ. فهو لم يتمسك بكلمة، ولا بوعده ولا بعهد. والأمثلة قد ذكرت الكثير منها، وما يزال هناك الكثير جدا الذي يمكن روايته وحكايته.. وأرى أن المصلحة العامة والهامة، تحتم أن أوجّل الكثير من التفاصيل العجيبة والغريبة. وإن كنت أعلم علم اليقين أن تصرفات القذافي سوف تتيح لي الفرص الكثيرة والغريبة لكي أعرضها على الناس..

وهناك ملحوظة عابرة وهي أن الذي يسمع الإذاعات الليبية في طرابلس وبنغازي وسرتة يتذكر فجأة ما كانت عليه الإذاعات المصرية سنة 1956 أثناء وقبل وبعد العدوان الثلاثي على مصر.

فهذا العدوان الثلاثي كان من إسرائيل وفرنسا وانجلترا على مصر بعد تأميم قناة السويس. وكان ذلك رد فعل عنيفا على هذا القرار المصرى الخطير. وفي نفس الوقت - كما ذكرت من قبل - كانوا يقصدون أن يحولوا بين مصر وبين استيعابها للسلاح السوفيتي. فقد كان التسليح في مصر غربيا. وما دما قد حصلنا على سلاح سوفيتي، فلا بد من تغيير "العقيدة" العسكرية.. أي لابد من تغيير فهمنا وتدريبنا واستيعابنا للسلاح الغربى حتى نصبح قادرين على استخدام السلاح السوفيتي. وهذا يحتاج إلى وقت طويل.. وضرب مصر بالعدوان الثلاثي يشبه من يهاجم إنسانا قبل أن يكمل ارتداء ملابسه..

وفي ذلك الوقت وقعنا في غلطة فظيعة. فقد كانت الإذاعة تؤكد أننا انتصرنا عسكريا. مع أننا انتصرنا سياسيا وانهزمتنا عسكريا. ووجه الشبه بين إذاعات مصر

يومئذ وإذاعة ليبيا الآن هو: هذه النبوة العالية الخرافية التي تؤكد على معنى الانتصار العسكرى والتحويل فى ضرب المدنيين والأطفال والعواجز والمساجد!؟.

مع أننى أمام ليبيا لا أتصرف عسكريا. وإنما كل ما حدث هو أننى حذرت وأندرت، ولم يأخذ القذافى ما قلته له مأخذ الجد. ولذلك كان لابد من تأديبه وأعد أن هذا ما حدث بالفعل. ولن يستطيع القذافى أن يواجه شعبه أو جيشه فيروى لهم حقيقة ما أصابه فى سلاحه وعتاده وقواعده.

ولو عدنا إلى ما كنا عليه نحن فى 1956، على سبيل الاستطراد والتأصيل، لوجدنا أن قواتنا فى الصحراء فى ذلك الوقت كانت عبارة عن لواء مشاة فى أبو عجيلة. وأبو عجيلة أقرب النقط إلى إسرائيل. وأبو عجلة تبعد عن العريش 40 كيلو مترا. وهجم اليهود على اللواء المصرى بلواء مشاة ولواء مدرع.. وكان اللواء المصرى بقيادة اللواء سعد متولى، وهو دفعته، وأصبح بعد ذلك كبيرا لياوران جمال عبد الناصر، وسقوط أبو عجيلة معناه سقوط العريش عاصمة سيناء وهى قاعدتنا الأساسية.

والأحداث التى جاءت بعد ذلك معروفة، ومن أهمها أن جمال عبد الناصر رأى ن فوق سطح بيته طائرات فرنسية وبريطانية فأدرك بذكائه حقيقة الموقف. وكان فى زيارته فى ذلك الوقت سفير إندونيسيا.. فأنهى المقابلة بسرعة، وأصدر قراره الشهير بالانسحاب، وكان ذلك تقديرا صحيحا للموقف من جميع نواحيه. وكان جمال عبد الناصر فى هذا القرار قد أكد ذاته تماما.

ويبدو أن القذافى حريص على أن يقلد مصر فى كل شئ. حتى فى أخطائها. ولذلك فالذى يذيعه فى الأيام الأخيرة بعد الحوادث التى وقعت على الحدود. يجد أنه ليس إلا صدق لما كنا نقوله سنة 1956.. وإن لم يكن لديه ذكاء وقوة جمال عبد الناصر. وعلى الرغم من أننى حذرت القذافى من اللعب بالنار، حتى بالنسبة لحوادث الحدود الأخيرة، فإنه لم يقتنع.. لأنه من الممكن أن تقع حوادث بين بوليس الحدود،

ممكن ولكن يسهل حصرها وتضييقها وإخمادها. وتستأنف الحياة سيرها العادى.. وأن التصعيد واللعب بالجيش هو لعب بالنار، يجب أن نتفاداه تماما، وليست لدى القذافى الخبرة ولا حسن تقدير الأمور. لأنه مسكين قد أعطى أذنيه لآخرين. واستسلم تماما لما يقوله له الذين اشتراهم بفلوسه. اشتراهم ليستسلم لهم. اشتراهم ليملأوا رأسه بالخرافات، ويملأوا قلبه بالمرارة. والقذافى عنده هذا الاستعداد الفطرى لأن يكون بطلا خرافيا. فأكد له المفكرون المرتزقة والمستشارون العملاء، أنه بالفعل بطل وأن مصر والعالم كله ينتظره وليس عليه إلا أن يتقدم والحدود والسدود كلها مفتوحة أمامه!.

وحكاية تحذيره من اللعب بالنار كما جاءت فى آخر هذه الرسالة لها قصة أيضا معروفة. وقد رويت بعضا منها. ولكن لابد أن أضعها فى مكانها من التسلسل التاريخى. فبعد فض الاشتباك الأول أى فى مثل هذا الوقت من أغسطس 1974 كان الشيخ زايد حاكم الإمارات، فى ليبيا. وفى طريق رحلته إلى مصر. وفى ذلك الوقت كنت قد أصدرت أمرى بسحب جميع القوات المسلحة المصرية من ليبيا.

فقد فوجئت بشئ عجيب حدث فى قاعدة العضم التى ضربناها أخيرا، بأن القوات الليبية اعتقلت القوات المصرية. شئ عجيب جدا. وهذا هو اللعب بالنار.

لقد كان هناك اتفاق مع ليبيا لاستخدام قاعدة العضم لتدريب طيارينا والطيارين الليبيين أيضا. وهذه القاعدة أقرب القواعد إلى حدودنا، وفى نفس الوقت بعيدة عن الطيران الإسرائيلى. وكان الطيارون يتدربون على الطائرات المروحية ميج 17. فهذه هى أولى مراحل التدريب وبعدها ينتقل الطيارون إلى ركوب ميج 21، 23.. والفانتوم والميراج وأية طائرات أخرى من أى نوع.

كانت لنا استراتيجية هى أن يكون لكل طائرة اثنان أو ثلاثة من الطيارين. فنحن متفوقون على إسرائيل فى القوى البشرية. كنا ولا نزال سوف نبق بإذن الله.

وفوجئت بأن كلية الطيران الموجودة فى قاعدة العضم متوقفة عن العمل من 11 يوما. لا تدريب ولا حركة. ونحن قد عرفنا جيدا أهمية الطيران فى حربى 56، 67.

وفى سنة 1973 استطاع حسنى مبارك أن يصحح الكثير من أوضاع الطيران وأضاف جديدا.

ولم يأخذنى السوفيت مأخذ الجد عندما رأيت أن تكون لنا أكاديمية للطيران قبل حرب أكتوبر. فقد كانوا يسخرون من هذه الفكرة ويرون أنه لا ضرورة لذلك. ما دمت لن أحارب، وما دمت غير قادر على أى شئ. وأهم من هذا كله ما دمت فى جيوب السوفيت وكلها حسابات خاطئة وقع فيها السوفيت. كما وقع فيها ويقع وسوف يقع القذافى أيضا.

ولما أخذنا قاعدة العضم دارت الأفكار فى رأس القذافى. وقال إنه يريد قاعدة فى مرسى مطروح. لا مانع. نحن نضع طائرات وطيارين فى العضم، وهو يضع عددا من الدبابات فى مرسى مطروح، ولا بد أن تكون الأفكار التى فى رأس القذافى. أولا: أنه يريد أن تكون له قوات فى مصر، لأن له مطامع فى مصر..

ثانيا: لأنه يحتاج على وجود مثل هذه القوات خارج ليبيا، ليستدعيها إذا ما حدث شئ ضده فى بلاده.

ولكنى لا يخيفنى أن يكون للقذافى لواء مدرعات فى مصر لأنه ما الذى يستطيع أن يفعله بهذه الدبابات. ولكن ما دام هذا يريحه عقليا، ويخدم استراتيجيتى فى الاستعداد والتدريب المستمر ورفع الكفاءة القتالية للطيارين المصريين والليبيين فلا مانع عندى مطلقا. وأنا واضح مع نفسى وواضح مع القذافى ومع الجميع. وكل أوارقى مفتوحة أمامى. لأن أهدافنا واضحة، ومن أجلها حشدنا كل شئ.

ولما علمت أن التدريب توقف. سألت فقيلت لى أشياء كثيرة. لم يكن من العصب التنبؤ بها. فالصورة أمامى قبل ذلك ملتوية الخطوط. والقذافى ليس ذلك الإنسان السوى. ولكن رغم سلوكه الغريب هذا ، لا مانع عندى من مسابرتة، تفاديا لأية صراعات غير مسحوبة. فما تزال أمامنا قضية كبرى : تحرير الأرض!.

ومما قيل لى فى ذلك الوقت: أن الليبيين قد اكتشفوا أن وقود الطائرات الميج فيه رواسب. ومن المعروف أن الطائرات السوفيتية لها وقود خاص: لا هو بنزين ولا هو جاز.. وإنما سوائل تضاف إليها مواد كيميائية خاصة. وكنا ننتظر الوقود من روسيا أيضا. ننتظر السلاح وقطع الغيار والوقود. وكانوا قبل ذلك، ما ذكرت، يرون أن الطائرات لا تتحرك إلا بأوامر من موسكو. ويمكن لأى إنسان مثقف أو منصف أن يعيد ترتيب هذه الصور أمامه ليعرف كيف كان الوضع فى مصر!؟

لولا ثورة الشعب من أجل تصحيح كل شئ واستخلاص الإرادة المصرية من القبضة الحديدية السوفيتية - حتى الوقود يجب أن ننتظره حتى يجىء من موسكو.

لقد اكتشف خبراء القذافى ومستشاروه أن الوقود به بعض الرواسب. وأن هذه الرواسب لو صح وجودها، ففيها خطورة على الطيارين والطائرات - والطيارون أهم وأثمن من الطائرات. فأنابيب الوقود إذا انسدت هلكت الطائرة. فهى ليست كالسيارة إذا تعطلت توقفت على جانب من الطريق.. ولا حتى مثل شرايين القلب إذا ترسب فيها الكلسترول أو غيره أصيب صاحبها بالدوخة أو الإغماء.. وإنما الطائرة سوف تسقط محترقة بمن فيها!. ولم يكن القذافى صادقا فى ذلك، فليس أصعب على القذافى من أن يكون صادقا!.

وهذا الوقود الذى تحدث عنه قد واجهتنا مشكلته فى مصر. فاستطاع مهندسونا أن يحلوا وأن يعيدوا تراكيبه فى معامل تكرير البترول عندنا، وفى وقت قياسى قصير وانحلت مشكلة الوقود الذى كان يجب أن ننتظره حتى يجىء من موسكو.

فما الذى يريده القذافى الآن، وأراده بالأمس. إنه نفس الشئ ونفس الموقف ونفس الصورة: إنه يريد أن يضغط علينا سواء بالطائرات التى أعطاها لنا وسحبها، أو بقاعدة العضم أو بالفلوس التى امتنع عن إعطائها ورفضت أية مناقشة فى عودتها، إنه يريد أن يضغط علينا..

أو بعبارة أخرى يريد أن يكون له موقف على حسابنا. أى يكون له دور على مسرح الأحداث العربية. أن يهرب من العزلة ومن المهانة التي وجد نفسه فيها فقد هاجم حرب أكتوبر واعتذر. وهاجم الثغرة وتراجع. وهو كل يوم يجد أنه قد أخطأ فى حسابه. وأن المعلومات التي لديه كلها وهمية.. فقد أرسل المخربين.. ولم يخرب مصر. وأرسل من يطلقون الرصاص.. ولم يمت الشعب المصرى. ومن يرمون القنابل.. ولم تتهدم كل عمارات وقطارات مصر.. ثم إن الوضع فى مصر وضع دولة مؤسسات ديمقراطية.

ديمقراطية الأسلوب والهدف. وشعب مصر لأنه عريق فهو صلب وهو شهم وهو لا يخضع لأى ضغط. ولم يفلح أحد فى أقسى الظروف أن يشتريه أو يذله.. ولكن الذى فى رأس القذافى شئ آخر. ومطلوب من مصر أن تحقق له أحلامه المجنونة.. وإلا .. أرسل المخربين وضعاف النفوس والمأجورين والخونة والمرترقة ليحدثوا شغبا وبلبله فى مصر. ولم ينجح فى أى شئ من ذلك. وهذا يضاعف عذابه وغيظه وجنونه.

وبمناسبة جنون القذافى هذا، لقد كان للرئيس برجنييف فضل إطلاق هذه الصفة عليه. وقد سمعتها منه شخصيا وأكثر من مرة. فإذا كنت أنا قد جاهرت بذلك فإن لدى من الأدلة أضعاف ما لدى صديقه الصدوق وحاميه وراعيه برجنييف!.

وكان القذافى قد اشترى طائرات ميراج.. مائة وعشر طائرات. ودخلنا فى مناقشات فى أوائل 1973 حول تشكيل أسراب الطائرات. وكان القذافى يرى أن تكون هناك أسراب مصرية وأسراب ليبية. لا مانع. وأن تكون الأسراب المصرية بقيادة ليبين أى أن يكون الطيار الليبى الذى هو برتبة رائد، قائدا على طيارين مصريين برتبة العقيد. ورغم صعوبة وشدوذ هذا الوضع، فأنا قد وافقت عليه. ما دام يرضيه، وفى نفس الوقت أحصل على هذا العدد من الطائرات.

ووافق القذافي على إرسال 25 طائرة ميراج، على نحو ما حكيت قبل ذلك، ولم يبعث لهذه الطائرات بقطع غيار. وإنما الذى اشترى طائرات جديدة وقطع غيار كان الملك فيصل، الله يرحمه.

وعندما طلب القذافي سحب طائراته هذه، حاولت أن أقنعه بأن يتريث بعض الوقت إلى أن تصل الطائرات التى اشترها الملك فيصل. فأصر القذافي.

وكان القذافي يشتعل جنونا إذا سمع كلمة "السعودية، أو الملك "فيصل".. إحدى هاتين الكلمتين كافية جدا لأنه تجعله يبلغ قمة الجنون. ولم يكن هناك مبرر لحذف هاتين الكلمتين من قاموس التعامل مع القذافي. لأن السعودية محترمة. وملكها فيصل رجل بمعنى الكلمة. ثم إن فيصل صديق، والقذافي كنت أنظر عليه على أنه ابنى - ولكن بقدر ما يبعث فيصل على الإعجاب العظيم، فإن القذافي يبعث على الإشفاق العظيم أيضا!

وكان لابد لى من واجهة الموقف الغريب الذى طرأ على قاعدة العضم، عندما دخل لواء لىبى مدرع واعتقل الطيارين المصريين. فسحبت جميع قواتى فورا. مع أنها تعمل فى التدريب وفى حماية القذافي أيضا. والغريب أن القذافي قد تصور أن هذه القوات سوف تقوم بانقلاب ضده.

هنا كررت تحذيرى من اللعب بالجيش أى اللعب بالذين يمسكون النار ليطلقوها على العدو فقط. فكل هذا العناء والمشقة من أجل مواجهة العدو وليس مواجهة الشقيق اللببى، مدنيا كان أو عسكريا. وليس من حق القذافي أن يلعب بشعبه، ولا أن يعرض قواته للخطر.. وأن يضطرننا - آسفين تماما - على أن نوجه نيراننا إلى صدور رجاله. فهذا ما لا نريده أبدا.

وأمام الشيخ زايد وفى قصر رأس التين قال: أنت أخرجتنى وسحبت قواتك!

وعلى الذين يتابعون أسلوب القذافي فى القول والفعل أن يفسروا للعالم معنى الإحراج.. هل أخرجته عندما اعتقل طيارينا، فسحبت كل جنودى إلى خارج ليبيا..

هل الإحراج أن أتفادى اللعب بالنار، أو هل الإحراج أن أتركه بلا حماية فى مواجهة أعدائه فى الداخل..

وأعتقد أنى قد أسمعته من التعنيف عبارات وألفاظا لم يسمع بها من قبل. فالموقف ليس لهواً ولا عبثاً. إننا فى حالة حرب. والوقت أعلى من الذهب.

وقواتنا وشعبنا قد عانى الكثير، ولا يزال راضيا على مئات من المتاعب، انتظارا للنصر.. واسترداداً للأرض والكرامة، ليستأنف مسيرته نحو تدمير بلاده وصنع مستقبل أفضل لأبنائه. فنحن الآباء قد عانينا كثيراً، ونريد أن نوفر على أبنائنا كل هذا العذاب. وتلك رسالة الأب المخلص لأسرته ووطنه.. هذه قضيتنا فالموقف فى غاية الجدية والخطورة. وهذا الذى يعملهُ القذافى ليس الا لهواً ولعباً وجنوناً.

ولولا أن الشيخ زايد رجل أحبه وأحترمه وأراه عربياً صميماً وفى غاية الصفاء والنقاء، ما وافقت على أن يأتى بالقذافى إلى مصر. ولا أن أستقبله، ولكن من أجل الشيخ زايد ذلك العربى الأصيل. احتملت أن ألقى القذافى وأن أناقشه وأنا أعلم مقدماً أنه لا جدوى من الكلام معه.. وطلب القذافى سحب طائراته..

\* قلت لحسنى مبارك فى التليفون: يا حسنى

قال: نعم

\* قلت : طائرات القذافى تعود إلى ليبيا.

- حاضر

\* قلت: والطائرات التى لا تصلح تعطى له أيضاً، بعد الاتفاق على جدول زمنى لذلك.

- حاضر.

والتفت للقذافى إن كان كان يريد شيئاً آخر. قال: بطارية مدفعية!

\* قلت : خذها أيضاً



سألت القذافي: هل تريد شيئاً آخر؟

قال: نعم.

\* قلت ماذا؟

قال: عليكم مائة وعشرون مليون دولار أنا في حاجة إليها.

\* قلت: هذا ما لا أستطيع..

ولكنى التفت إلى الشيخ زايد وقلت: هذا المبلغ كان وديعة عندي ولا أستطيع أن أدفعه الآن.

ثم قلت للشيخ زايد: يا شيخ زايد حاول أن تجمع له هذا المبلغ وتخلصونى من هذا الإنسان. وبعد ذلك نتحاسب.

والشئ الذى أذكره الآن أن الشيخ زايد كان يسمع هذه المناقشة وقد غطى وجهه بإحدى الصحف.. إنه لا يستطيع أن يتصور شيئاً من ذلك. وهو رجل فى غاية الأدب.. لقد أخلجه هذا الحوار وهذه الصفاقة والسفالة من القذافي. ولم يتصور الشيخ زايد أن عربياً يعرف ظروف مصر ودور مصر يلح فى طلب أشياء غريبة بلا حياء ولا خجل ولا وازع من خلق أو ضمير!

ولكن هذا ما حدث.

وباعتراف القذافي أمام الشيخ زايد ليس له شئ فى مصر!

إذن ليس له شئ فى مصر. فما الذى يريده من مصر؟

أما نحن فلا نريد منه أى شئ لا نريد أرضاً ولا مالاً ولا بترولاً.

وهذا ما قلته لياسر عرفات عندما جاعنى بعد الحوادث الأخيرة. وطلبت إليه أن

يسأل القذافي: إن كنا طلبنا منه أى شئ. فأجابه: بأن مصر لم تطلب شيئاً.

إذن لماذا هذا اللعب بالنار والتحرش بمصر؟!.